

ناصر قنديل

بعد «المختصر المفيد» والحديث عن أردوغان وفوزه الملمّع في الانتخابات البرلمانية التركية الأخيرة، ننتقل إلى الصباحات مع ياسمين الشام ومُقل الابطال الساهرة على الجبهات، إلى «قالت له» والحديث عن الحبّ والغيرة وما بينهما، إلى الرياضيات وعبئها بالحروف والكلمات، قبل أن نبحر في يَمّ المشارِكات، من مشارِكات مواظبات عوّدننا على إبداعاتهنّ.

مختصر مفيد*

تركيا الجديدة: هل تحول أوغلو إلى كويرس؟

● التوتر الذي شكّل الصفة الجامعة لمرحلة ما بعد فوز «حزب العدالة والتنمية» لم يرافق الجبهات السياسية والعملياتية التي يفترض أن الرئيس التركي رجب أردوغان ورئيس حكومته داود أوغلو يعتبرانها جبهات مواجهة مصيرية. والتي كانت مشتتلة عشية الانتخابات، وكانت الرهانات على الانتخابات تنتظر النتيجة ليبدأ تصعيد غير منتظر. فإذ الفوز ومن ورائه برود تام في الدور التركي على هذه الجبهات، بينما نارها بذاتها تشتعل قرب الحدود التركية وتحت عين الحكومة التركية. فالغارات الروسية تتواصل على خط الحدود السورية. التركية، وحديث المناطق العازلة إلى تراجع، والجيش السوري يواصل الزحف وبقوة وسرعة ليلتهم مناطق انتشار «جبهة النصرة» و«أحرار الشام»، حيث المجموعات التي تحظى بأوسع دعم تركي، وصولاً إلى معادلة «لن نغف مكتوفي الأيدي». فما الذي جعل الأيادي التركية مكتوفة، خلافاً لوعود ما قبل الفوز، والفوز جاء منقطع النظير؟

● تم لقاء فيينا الخاص بسورية، وتوقّع متابعو الوجهة التي سيمصرف فيها أردوغان نصره الانتخابي، فوجده باهتا في فيينا، معلناً الرغبة بمنح الأولوية للحل السياسي، مبعثداً عن معادلاته الشهيرة «لن تشارك تركيا في الحرب على داعش خارج إطار وضوح معادلة تضمن تغيير النظام في سورية». ومفهوم أردوغان هنا النيل من الرئيس السوري الذي خرجت معادلة فيينا بالتسليم ببقائه متبنيّة معادلته بأن الرئاسة السورية شأن السوريين وحدهم، يقرّرون مصيرها عبر صناديق الاقتراع. وفي فيينا جرت المجاهرة بضمّ حليف أردوغان السوري الذي تمثّله «جبهة النصرة» إلى لوائح الاستهداف بدلا من التعميم السياسي الذي رمى بثقل تركيا لتأمينه. وفي فيينا ورّع الأميركيون ورقة عمل على بعض الحلفاء والخصوم ومنهم تركيا تتضمن المطالبة بوقف بيع النفط الذي تنتجه جماعات «داعش» من سورية والعراق، والمقصود بالمطالبة تركيا حصراً.

● سيحلّ أردوغان خلال الأيام التي تفصله عن الانتخابات في أقلّ من أسبوعين، أربعة اتصالات بالرئيس الروسي. وعندما كانت روسيا عنوان الانتقاد التركي للدور الذي تُوّده في سورية، حل الصمت عن هذا الدور الروسي، ورافقه التفرّج على الوقائع التي يفرضها هذا الدور بالتعاون مع الجيش السوري والحلفاء، بينما تعلن الحكومة التركية كل يوم حصيلة اعتقالات تقوم بها الأجهزة الأمنية التركية تطاول عناصر «داعش» في مناطق حدودية أو في مدن تركية، تستعدّ

● يطرّح السؤال حكماً عن تركيا الجديدة التي ولدت من الانتخابات الأخيرة التي فاجأت بنتائجها حتى أهلها والرابحين فيها. بين ما كان مجرد آمال لديهم بالفوز، والفوز الكاسح الذي حقّق، ولم تجرؤ على توقعه استطلاعات الرأي الأشدّ تفأؤلاً وقرباً من «حزب العدالة والتنمية»، وقيمة الاستقراء لماهية تركيا المولودة من رحم الانتخابات بالسلوك والمواقف والتوازنات والعلاقات بقوى الداخل والخارج، أنها تساهم في تفسير الغلز الذي ترتّب عليه هذا الفوز، والفوز الكاسح تحديداً.

● في الخارج، أمامنا صوت أوروبيّ مرتفع تنديداً بما سمّته منظمة «الأمن والتعاون» الأوروبية، التي تعتبر صاحبة أكبر جهاز عالمي للرقابة على الانتخابات، بالفضيحة الانتخابية التركية، التي تحوّل هذا البلد المتقدّم في الشرق الأوسط على طريق الديمقراطية إلى نموذج للدكتاتورية والشمولية. مستعرضة في تقريرها عن الانتخابات ما قالت إنها أسباب كافية كي لا نتحدث بعد عن عملية انتخابية. وفي مقدّم هذه الأسباب التي أوردها التقرير، إغلاق الصحف والقنوات التلفزيونية، واعتقال رموز الديمقراطية من كتّاب المقالات ومقدمي البرامج أصحاب التأثير في الرأي العام، وإغلاق شبكة الإنترنت تحت رقابة مشدّدة للمسومح والممنوع، وصولاً إلى منع ترشيح عشرات من المعارضين بأسباب قضائية وأهية ينتهي مفعولها بأيّام المهل القضائية لإثبات التهم، فتكون الانتخابات قد انتهت، أو مهل الترشيح قد خطّأها الوقت. والأهمّ، أن التقرير الذي يعرض لما يسميه مهزلة الإشراف على الانتخابات التي تضمنت تسليم الحزب مسؤوليّة إدارة العملية بغطاء الصفة الرسمية، لدور المال السياسي والوعود الشخصية كرشى انتخابية موصوفة، ليخلص إلى الدعوة إلى وقف المفاوضات الجارية بين الاتحاد الأوروبي وتركيا تحت عنوان الانضمام إلى الاتحاد.

● لم تكد تنتهي الانتخابات التي يفترض أنها توجّهت «حزب العدالة والتنمية» بزمامة لم يظنها منذ نيله الغالبية البرلمانية قبل 15 سنة، حتى بدأت التوترات تتصاعد في مناطق الغالبية الكردية مبشرةً بعواصف أمنية تحدّثت عنها التقارير الصحافية التركية والأوروبية والأميركية على حدّ سواء، على خلفية سقوط مساعي التهذبة بين الحكومة وحزب العمال الكردستاني، واتهام الأكراد لأجهزة الحكومة بالتلاعب الانتخابي. فضضع تمثيل «حزب الشعوب الديمقراطي» الذي منحه الأكراد تصويتهم.

أيها الراحلون

أيّها الأعرّاء الذين تسلّمتُم واحداً تلو الآخرى خارج الحياة، أخذين معكم أسباب الإيسام، أصول اللهفة واللوان العنّام. جاءت الأيام التي كنتم عنها تتحدثون، حضر المستقبل فهل أنتم راجعون؟ الشمس ما زالت تحتضنها السماء. الطبيعة غنّاء، صيف ربيع وشتاء. وستة بعد ستة نعيد طقوس الغزاء. ولا ندري أسباباً لهذا البكاء. نفتش عمّا نقول فتخفقنا الكلمات على القبور.

«قلبي»... بين القنبلة والسنبلة

فارس الشهباء يا بنّي
أعر الدرب أخاك
أنت والفرسان تبني
المجد:
الله... معك
أنا أمّ... ليد قالت يدين
أنا أمّ كل قلب... كل روح... كل عين!
أنا أمّ مثل أرض الشام
أمّ الأجمعيين
فسلام الأمهات الطهر
أما بعد أمّ
لك قمم
قمم فحرن... أنتَ باسم الله
تعلّي العِلْم... تعلّي العِلْم
وهو باسم «اللات»... تعلّي الجهل
يعلي الصنّم
أنت قلبي حين قلبي راح أقوى قُنبلَة
أنت قلبي حين قلبي عاد أغلى سنبلة
xxxxx
أنا بنت النجمتين
مصر والشام المقدّي
أنا أمّ البليطن...
وكتّابن الشام مجدا
كبيدي الأول يرمي الموت
والثاني استعد
وأنا قلبي دعاء
وسع سورية... وأوسع
وجنوب الشام لبنان ماء
يضحكان القدس... تدمع
أنا شام الله رغم الحاقدين
أنا إيلاف وحجّ ويمين
هو من؟
حتى ولا في الغابرين

سحر أحمد علي الحارة

البناء



صباحات

● قال الصباح: مع حزمة النور الاولى التي تتسلّل إلى حدقات العيون، تشعر أنه يومنا، وأحياناً تشعر أنه علينا. تفاعلوا بأنه يومكم، فغالبية السعادة ليست قدراً إنما إرادة. وكل قضية تقابلها مشكلة. ننجح في صنع السعادة إن نجحنا في تحديد أيّ منهما القضية، وأيّ هي المشكلة. فإن بقيتا قضيتين تتقابلان، وقعنا بالفشل والإحباط. وعندما نعرف القضية ونميّزها، ننحاز إليها وننظر إلى المشكلة بعين الواقعية والرضا بدلاً من الفاضلة مع الأصل وهو القضية. وعندما نتعاضب مع المشكلة نعرف كيف نديرها لنفوز بالقضية. وغالبية السعادة شعور بالفوز بقضية كما المتخرج الجامعي الطامح إلى النجاح في مهنة، والذي يحبطه راتب متواضع للفرصة الأولى، فيقع في الحيرة. والأمر واضح، وهو أن القضية بدء المسيرة، والمشكلة تبعاتها. فالإقدام هو نصف الإرادة، والإرادة نصف السعادة.

● في الشام يتكاثر الياسمين، وفي الزقاق يعلو صراخ أولاد يبشّرون بالحياة التي لا تتوقف هناك. وفي السماء تزدان الشمس بمواكب النجوم. وفي الغيوم مزيد من المطر الوافر الآتي... وحدهم يندثرون من لا غد لهم وقد مضوا كسرب ذباب جبلته ريح عاتية وأخذته الرمال إلى حيث الصحراء... حيث لا ياسمين وحيث لا يعكرون صفو الصباح وقهوة الصباح على حُرّاس الصباح والسلاح في حضرة الشهداء... ويكتب تاريخ الأمم... وانتصرت الحضارة على التجارة وانتصرت الأخلاق على النفاق... وانتصر الدم على السيف... والعزم على الحزم... ويفهم الفرق البلهاء.

● كيف ندير الوقت تتّجه بوصلتنا في كشف الفوارق بين الثابت والعابر في حياتنا. فحيث نحسب بالساعات نهاية الصيام، ننظر السنوات لنهاية جامعاتنا. وبينما نمنح موسم البلّيح شهوراً ننظر الزيتونة سنوات... ذلك أننا نصوم ونفطر مرارا وتنتزح من الجامعة مرة واحدة، ونزرع البلّيح كل سنة، ونزرع في العمر زيتونة... فوزوا بجامعاتكم وميّرُوا زيتونكم من بطّيح الأيام وأحرسوه... ولا تنتقصوا من قيمة الصيام ولا البلّيح.

● كل صباح يُطفيّ الناس آلاف السجائر في فناجين القهوة... وكلّ صباح يتساءل شركاء الصباح عن المعنى... منهم من يرى ذلك إيذانا بنهاية سكيئة الصباح وعلامة غضب على نداء العمل. فانتقام من النفس الفرحة بجلسة الصباح قبل أن يمضي، وهؤلاء هم الكسالى. ومنهم من يتلقى توبيخاً لإساءة التصرف وانعدام الأناقة. بينما صحن السجائر موجود وهؤلاء هم الفضوليين. ومنهم من يتساءل عن سرّ الرضخ بينما القهوة ماء تطفيّ النار. وهؤلاء تجار أو رجال أعمال. لكن بينهم من يقول للأخر أسوأ عاداتك أن تطفيّ سيجارتك في فنانج قهوتي، وأجمل عاداتي أصرّ على شرب القهوة مع المتبقي من رماهاها. لأن ترنج أجزائها المحترقة المتناثرة على سطح قهوتي كارطام موج البحر برمّل الشاطئ، صوت أسمعُه بحنين والمح بريق الفضي من الرماد وهو يتناقل محملاً بحبّات اللبّن ليرسو في قعر الفجانج، بعدما يصير داكتنا بلونها كانبطاء الجمر في ماء بركان، فأشعر باقترابك واحتراقك... تغيير ردود الفعل بتغيّر أمزجة البشر وثقافتهم لكنّها تتغير أحياناً بتغيّر مكانة الفاعل... ففي حالة العشق فقط يشرب الناس قهوة من فنانج أطفئت فيه سيجارة. ● هو شعاع ضوء واحد يكفي لتبديد الظلمة، بينما العتمة كلها ضرورية لتحجب الضوء، وتعلن وجود الظلام. وهذا هو الفارق بين الحقّ والباطل، وبين الحبّ والكرهية، وبين الخير والشرّ... يكفي الحقّ والحبّ والخير بعض حضور حتى يطغى على المشهد ويحّث الباطل والحقد والشرّ أن يطغى على المشهد كي ينجود ويكتفي... صباح الخير للرجال الذين مهّدا بالدماء الحرّية لمطار كويرس وبلغوا الهدف بأجسادهم شهداء، وصباح الخير للذين صمدوا وعبّدوا أرض الصمود بأجسادهم شهداء... إنهم الشعاع الذي يصنع النهار ويعلن الصبح. إنه الصبح يرونه بعيداً ونراه قريباً... اليس يصنع بقرئب؟

● عندما نعيش الفرح نرى الليل نجوماً والنهار ضوءاً والاحمرار ورداً جورياً والبياض ياسميّنا. وعندما يحكمنا الحزن والقلق تصير الشمس ناراً والليل ظلاماً والبياض سديماً والاحمرار دماً. فالأصل نحن لا ما حولنا. أمّا الصباح فكي تطوي صفحة ونفتح صفحة ونكتفي من حزن لنلاقي فرحاً أو ننعش الفرح الذي كان بالفتاة المذكرة قبل أن يطويه النسيان... فالتقبل رقيق علاقتنا بالأحزان، والقبول رقيق دربنا عندما نعيش الأفراح... وكم نستغرب كيف تمزج النفس بهذه القدرة العجيبة بين أحزان مقيمة وأفراح كامنة أو فرح مقيم وحزن دفين... إنه انتصاف النهار وحسن المواءمة. فلا تشكّوا عندئذّ في صدق طينتكم وإنسانيتكم... كونوا أنتم وكفي.

قالت له

قالت له: رأيت عينيك وأنت تتحدّث عنها، ورأيتها وأنت تنظر إليها خلصة بين الجموع، والعيون لا تقيم حساباً عندما تقول ما لديها. وأحسست بما يتخطى الغيرة إلى الحزن، كمن يكتشف سرّاً غريبته، ولا يجرؤ على الرحيل.

فقال لها: أنا لا أنكر اهتمامي بها ولا أخفيهِ عنك. لكنه مختلف عن مكانتك عندي في كل شيء. وأنا لا أجمال قولاً، فكلمنا وضعتكما أمام عينيّ وقارنت، كانت لك الغلبة في كل شيء. فهي عنوان لمسألة عملية لا بد من النجاح فيها. وأنت عنوان لعقلي وقلبي، وأنت الأعمق في نفسي ووجداني.

فقلت: أنا لا أحاسبك ولا أعاتب. إنما أسجّل أنني رأيت لغة العيون. وأعلم مكانتي عنك. وكهرباء العيون ليست مكانة، إنها انفعال خارج السيطرة. ومن يظنّ أننا نمنح الأفضل للأفضل، يظنّ النساء كلهنّ سيحبنّ رجالاً واحداً كما سيحبّ كل الرجال امرأة واحدة. والعيون لا تتكلم في الانفراق، إنما تخضع أو تدمع أو تشتتهي. أما في الجمع، فقتسلل إلى حيث لا نملك القرار ولا الفرار. وعندما نتحدّث عن الناس، وحدها تبرد أو تهدأ أو تحلم أو تطلق الشرار. فالأمر ليس مفاضلة ولا مجاملة... لقد أطلقت سراح قلبك وعيونك وسأبقىك تحت عينيّ، فإن عادَ إلى عينيك البريق فانت معي، وإن لم يعد فانت أصلاً لم تكن معي يوماً، مهما توهّمنا معا بصدق، فما كان ملاء الفراغ بالكلمة المناسبة حتى جاءت الكلمة الأنسب... ومضت.

لأعمال تخريبية، وحصيلة للتوسع في غارات تشنّها الطائرات التركية ضدّ مواقع «داعش» في سورية والعراق. وحصيلة للمواجهات مع «حزب العمال الكردستاني» واستهداف مواقعه ومجموعاته، ما يصفه الخبراء في الشأن التركي بالانتكاف من خطوط الدور الإقليمي الموسّع إلى ما وراء خطوط ما يسمى بالأمن القومي التركي.

● لا تفاصيل عن الصفقة التي سبقت الانتخابات التركية ومنحت أردوغان درع التثبيت وكيف، سوى ما نشر عن تدخل أميركي لدى جماعة فتح الله غولن المنشق عن أردوغان لمنح أصوات مناصريه لأردوغان بعدما سلّم «حزب العدالة والتنمية» بدفتر الشروط الأميركي المنسق مع روسيا في خطوطه العريضة حول الدور التركي المطلوب في الحل السياسي في سورية، وفي الحرب على الإرهاب بالتوازي. وفي المقابل، ليس هناك سوى ما يلتف المراقبين بالتفاضي عن التجاوزات التي سجلت في الانتخابات وأصابتها مقتلًا في الصميم. لكن الأكيد أن هناك شيئاً ما قد جرى غير ما يريد أوغلو إقناع المراقبين والمتابعين به، من نجاح الحملة الانتخابية لحزبه بصورة فاقّت توقعاته، لأن هذا في حال حدوثه كانت علاماته ظهرت تبعاً في استطلاعات الرأي، الموجّهة من قبل الحزب على الأقلّ تمهيدا لتجرّع مفاجأة الفوز من المراقبين، وتغعيلاً لنتائج الحملة، وهذا أمر لا يغيب عن اللاعبين الانتخابيين الأقلّ خبرة من أوغلو وحزبه. والأهم لو كان الفوز المفاجئ والمتخطي حدود التوقعات يمنح الحزب الفائز اندفاعاً في وضع سياساته على الطاولة بقوة، خصوصاً ما كانت وعودا تستعد لها تركيا مع الفوز وأهمها، أن روسيا ستدفع ثمن هذا التدخل في سورية، وأن تركيا لن تغف مكتوفة الأيدي، وأن الحرب على «داعش» مشروطة بالحرب الأخرى التي وضعتها حكومة «العدالة والتنمية» في تركيا قضية حياة أو موت، وربطت عبرها مصير حكمها بمستقبل الرئيس السوري.

● فاز أردوغان وهُزمت سياساته، فربما تكون الهزيمة السياسية أهون من الهزيمة الانتخابية عليه.

● كان الأتراك يصفون أوغلو بأنه كورس وراء أردوغان. فهل تحول إلى مصغر كورس فصار كويرس؟ طرقة يتداولها خصوم أوغلو الأتراك بعد دخول الجيش السوري إلى مطار كويرس تحت أعين الأتراك!

ناصر قنديل

* ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

هزيمة أردوغان

هل هي حقيقة؟ أو هي رغبات وأمنيات باءت بالفشل؟ هل هي حقيقة؟ أو أنها أحلام غاضبة همدت من دون أمل؟

أعتقد، ولست خاطئة في اعتقادي، أنها حقيقة فرضت نفسها بالمقاييس كافة. حقيقة اللعبة، وضرورة البقاء كي تصبح اللعبة مسلية أكثر. فاللاعب ذو الخبرة، أفضل بكثير من لاعب مبتدئ يحتاج إلى الكثير من الوقت ليفهم شروط اللعبة وقوانينها.

حقيقة فشل أردوغان في تحقيق رغبات أسياده وأمنياتهم وأحلامهز، في إقامة منطقة عازلة في الشمال السوري، حقيقة فشله وعجزه في التدخل العسكري بشكل مباشر داخل الأراضي السورية.

حقيقة ما يجري على أرضه داخل مخيمات الموت والنّذل والعار. مخيمات الخسّة والنذالة بنكته أردوغان. كل شيء أصبح مكشّوفاً أمام شعبه. تصريحاته الواهمة التي بقيت جامدة ومجزّد تصريحات. فهو لم يحقق شيئاً مما وعد أو توعدّ به. فيقاؤه في الحكم، لا هو شعبية ولا حكمة سياسية، وليس وجوداً فرض نفسه بنفسه. إنما هو حدث مفاجئ لأصحابه أكثر من غيرهم. حدث عكس التوقعات ولكنه ليس عكس المعطيات التي غيّرت المسار من منحي إلى آخر.

أبواب أغلقت وأخرى فتحت. هي اللعبة ذاتها إنما مع اختلاف الشروط وتغيير المهمة الأردنية.

فهيئنا لك يا أرد؟ وكان؟ بتلك الكرسي الملية بأزوار التحكّم عن بعد. فحذار من الجلوس عليها طويلاً. قد يمسك جنون من خستك التي تعودنا عليها لا من عظمتك. لقد رحل كئيبون ممّن قالوا إن أيام الأسد معذوبة، ولكنك ستبقى، لا لشيء، إنما لتشهد بقاء الأسد منتصراً مع شعبه العظيم الأبني. وتتمنى لو أنك رحلت من الحياة كلها لا من الحكم فقط. هذا الحكم الذي رخصت بأعز ما لديك من أحباب للبقاء فيه، رخصت ب«دواعش»، رخصت بأخوانك المسلمين، رخصت بكملتك المهزوزة وموقفك غير المشرفّ دولياً وإقليمياً واستراتيجياً.

لا أعرف إن كانت المفاجأة الثانية ستكون لهم أكثر صدمة. عندما يعرفون حقيقة اللعبة. ويعرفون أن بقاءه في الحكم مجرّد حفظ ماء وجه بعد الهزائم المتوالية التي عصفت بكم صعفات غير متوقعة من قلب ساحة ميدان الحقّ والنضال داخل الأراضي السورية، والوجود الروسي الذي قلب موازين القوى.

لذلك، لا مشكلة لدينا ولا تختلف أبداً على الكيس الملائن بالعظام لمن يورّع. فالهزيمة هزيمة. مهما تعددت الأغطية السياسية والدبلوماسية لتكسوها وتحجّلها وتبهورها وتبهرجها» ببعض من التزمير والتطييل والتصفيق. فانتّم لا تعلمون أن الإحتفال لكم، والطبول طبولكم، إنما العرس والفرح لنا. فرح النصر القريب الذي قرع أجراسه صرعا في أنانكم قبل أن يقرع فرحاً في قلوبنا.

اعتبروا كلامي تحدياً إن أردتم، والأيام ستشهد. فأنتي قلب سوريّ يبيض بالتحدي، والحقائق الصادقة المنبثقة من عشق الأرض والإخلاص والإيمان بنجات القضية. من فقتي بنموخ وطني ونصره القريب. فهو الحقيقة الوحيدة والباقية، وكل ما يجري من حوله لعبة، مسرحية سنتتهي، هذا ما سيسجله التاريخ عظمة وحقيقة لا مجرد أوهام وأمنيات وأحلام!

سناء أسعد

رياضيات في الكلام

- القدرة على العطاء نعمة يضع فيها الفرق بين الحبّ والوفاء. وزوالها نقمة تكشف الأصدقاء.
- لا يكشف الحبّ عن وجهه بالنّاء على محاسن الحبيب، إنما بإيجاد الأعداء لعيبوه.
- قدرة التحمل طاقة نفسية لا جسدية تظهرها لحظات الحاجة لا الرغبة. فعندما لا تشتغل فلأن حاجتنا إليها لم تحن بعد، على رغم الظاهر من رغبتنا وضعفنا... وكم يُظهر الضعفاء قوّة عندما يحتاجون.
- الفرح والحزن كما الأمل والخيبة موجودان في داخلنا دائماً... ما تفعله الأحداث أنها تحرك أحدهما إلى السطح، فيفظو بقدر ما نحتاج إلى هذا الشعور لأسباب أخرى.